

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نَحْوُ مُجَمَعِ مُتَّمَاسِكٍ

الحمد لله الذي جعل الرابطة بين المسلمين رابطة الإيمان، وأمرهم بأن يكونوا صفاً مرصوصاً كالبنيان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أمرنا بالوحدة والوفاق، وأوجب علينا التحلي بمكارم الأخلاق، ونشهد أن سيدنا ونبيانا محمدًا عبد الله ورسوله، جمع الله به الشتات، وربى على يديه خير الأفراد والجماعات، وأشاد بمنهجه أروع الحضارات، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى الله وأصحابه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فأوصيكم ونفسي - عباد الله - بتقواه، والعمل بما فيه رضاه، وامتثال مراسيمه وهدائه، إِنَّمَا الْأَنَاسُ اتَّقُوا رَبِّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحْدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ عَنْهُ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ^(١)، واعلموا - رحيمكم الله - أن شريعت الإسلام تهدف إلى تكوين مجتمع متماسك، يقوم بنيانه على المحبة والتعارف، والصفاء والتلاطف، من خلال قيم نبيلة وحقوق عظيمة، ربى الإسلام الحنيف المؤمنين عليها، وأدبهم بها، تشييد بنيان الأخوة الصادقة، يقول الله تعالى: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ^(٢)، ولقد لخص رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعض هذه الحقوق، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((حق المسلم على المسلم سنت، قيل: وما هن يا رسول الله؟ قال: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فاجبه، وإذا استتصح فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه))، فهذه الحقوق ينبغي أن يتخلل بي المؤمن في كل حال، في الإقامة

(١) سورة النساء / ١ .

(٢) سورة الحجرات / ١٠ .

والترحال، وفي دوائر الأعمال، فالذين تجمعهم مؤسسة أو شركة أو وزارة، أو محلة أو شارع أو حارة، يلزم أن تقوى أخوتهم وتحسن عشرتهم وتذوم مودتهم، فتحت هذه الظلال الوارفة تتتحقق المحبة وتتأكد المعرفة، وبهذا تهدأ النفوس وتستريح، ويؤدي كل إنسان ما عليه على الوجه الصحيح.

أيها المؤمنون:

إن من حقوق الأخوة حب الخير للآخرين، يقول الرسول ﷺ : ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه))، فمن كان هذا حاله سلما صدره من الغل والحسد، فلم يكره أن يُساق الخير إلى أحد؛ بل إنه يسمو ويرتقي أكثر؛ فيشعر أن قلبه ساحة واسعة تسع كل الناس، يقول النبي ﷺ : ((المؤمن يألف ويُولف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يُولف، وخير الناس أنفعهم للناس))، وبذلك تسلم نعمته، وتصفو مودته؛ فلا يكيده حسد، ولا يؤذيه حاقد، وكيف يؤذى من سخر لنفع الناس نفسه، وكرس لهم جهده، ومد يد العون إليهم، وتواضع لهم ولم يتکبر عليهم؟ فبمثل هذه الأعمال الجليلة، والأخلاق النبيلة تتتحقق الصلات، وتُدحر الخصومات، وتذهب العادات. إن المجتمع الحضاري هو المجتمع الذي يملك أفراده صدوراً سليمةً وقلوباً نقيةً، إذا غاب أحدهم تقعدواه، وإذا مرض عادوه، وإذا احتاج ساعدوه، وإذا افتقر أعادوه، وإذا زل وأخطأ نصّحوه.

إخوة الإيمان:

إن المجتمع المسلم ليس مجتمعًا قائماً على الفردية والأنانية بحيث يهتم كل إنسان بنفسه فقط، بل هو مجتمع قائم على الجماعة المترابطة المتعاونة، حيث يجد الفقير والضعيف والمريض والمُبتلى من يقف إلى جانبهم، ويساعدُهم على الخروج من أزمتهم، وذلك بآن يقوم كل مقتدر بمد يد العون والمساعدة إلى المحتاجين، ولذلك جاء في الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال: ((من كان له فضل زاد

فَلَيَعْدُ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ ظَهَرٌ فَلَيَعْدُ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهَرَ لَهُ)، فَلَا مَكَانَ لِالأنانيةِ وَالفرديةِ فِي الإِسْلَامِ، بَلْ هُوَ يَدْعُ إِلَى الْإِيمَانِ، وَيَجْعَلُهُ صِفَةً مُمِيزَةً لِلْمُتَّقِينَ الْأَخْيَارِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُونَ الدَّارَ وَالْأَيْمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَحِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١)، لَقَدْ حَصَرَ الْإِسْلَامُ الْفَلَاحَ لِمَنْ تَغلَّبَ عَلَى فَرْدِيَّةِ نَفْسِهِ، وَتَعَمَّقَتْ رُوحُ الْجَمَاعَةِ فِي مَشَاعِرِهِ وَحَسَّهُ، فَلَا يَبْخَلُ عَلَى إِخْوَانِهِ بِمَا يَجِدُ، وَلَا يَسْتَأْثِرُ بِالْخَيْرِ وَيَنْفَرِدُ، بَلْ يَرَى التَّوَاصُلَ مَعَ الْمُجَمَعِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْعَطْفَ عَلَى الْضُّعْفَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ مِنَ الْبَرِّ وَالْإِحْسَانِ، يُؤْثِرُهُمْ بِمَا لَدَيْهِ، وَيَعْدُ ذَلِكَ مِنَ الْوَاجِبِ عَلَيْهِ، رَغْبَةً فِي رِضْوَانِ اللَّهِ إِنْ وَقَفَ بَيْنَ يَدِيهِ، لِيَكُونَ مِنْ مَدَحَهُمُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَيُطِعِّمُونَ الظَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ، مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا، إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا، إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطِيرًا﴾^(٢)، وَلَيْسَتِ الْمُسَاعَدَةُ مَقْصُورَةً عَلَى الْمَالِ فَحَسْبٌ كَمَا قَدْ يَفْهُمُ بَعْضُ النَّاسِ، بَلْ قَدْ تَكُونُ بِالْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ وَبِالْمَعْوَنَةِ الْبَدَنِيَّةِ وَبِالتَّضْحِيَّةِ بِبَعْضِ الْمَصَالِحِ الْخَاصَّةِ مِنْ أَجْلِ إِسْعَادِ الْآخَرِينَ. وَلِهَذَا تَتَعَدَّضُ ضُرُوبُ التَّعَاوُنِ وَتَخْتَلِفُ مِنْ حَالَةٍ إِلَى أُخْرَى، فَالْتَّعَاوُنُ مَجَالَاتُهُ كَثِيرَةٌ وَأَنْوَاعُهُ مُتَعَدِّدةٌ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَبْدأَ مِنَ الْأُسْرَةِ حَتَّى تَكُونَ الزَّوْجَةُ ظِلًاً وَسَكَنًا، وَيَكُونَ الزَّوْجُ حَامِيًّا لَمِنَّا، ثُمَّ التَّعَاوُنُ فِي رِعَايَةِ الْأَبْنَاءِ لِيُنشَأُوا نَشَأَةً صَالِحةً، ثُمَّ تَسْعُ دَائِرَةُ التَّعَاوُنِ لِتَشْمَلَ الْأَقْرَبَيْنَ وَالْجِيَرَانَ رَحْمَةً وَدَفْعًا لِلْبَاسَاءِ، وَمُشَارِكَةً فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

مِنَ الْحُقُوقِ الاجتماعيَّةِ الْمُهِمَّةِ الْإِحْسَانُ إِلَى الْجِيَرَانِ مِنْ ذُوِّي الْقُرْبَى وَغَيْرِهِمْ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَيْنَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحَادِيثِ أَنَّ الْإِيمَانَ لَا يَتَمَّ إِلَّا بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ عِنْدَمَا

(١) سورة الحشر / ٩ .

(٢) سورة الإنسان / ٨-١٠ .

قال: (منْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِنَ جَارَهُ)، وإنَّ مِنَ الشَّأْنِ الْعَجِيبِ وَالْأَمْرِ الْغَرِيبِ أَنْ يُجَاوِرَ الْإِنْسَانُ أَخَاهُ مُدَّةً مِنَ الزَّمَانِ، رُبَّمَا طَالَتْ وَامْتَدَّتْ إِلَى سَنَوَاتٍ، دُونَ أَنْ يَعْرِفَ اسْمَهُ وَاسْمَ أَبِيهِ وَمَنْ أَيّْ الْبِلَادِ، وَهُوَ تَصْرُفٌ أَنْزَلَهُ يُمْبِيْتُ الْمَحَبَّةَ وَيُقْبِرُ الْمَوْدَةَ، وَيُخَالِفُ أَوْأَمْرَ إِلْسَامٍ وَتَوْجِيهَاتِهِ، فَقَدْ وَرَدَ: (إِذَا أَخَى الرَّجُلُ الرَّجُلَ فَلِيَسْأَلْهُ عَنِ اسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ وَمَمْنَ هُوَ؛ فَإِنَّهُ أَوْصَلَ لِلْمَوْدَةِ).

فَانْتَقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَأَدُّوا مَا عَلَيْكُمْ تِجَاهَ بَعْضِكُمْ، وَصُونُوا حُقُوقَ أَمَّتِكُمْ، لِتَكُونُوا إِخْرَاءً مُتَحَابِينَ، وَعَلَى الْخَيْرِ مُتَعَاوِنِينَ، فَتَتَالُوا رِضَا رَبِّ الْعَالَمِينَ. أَقُولُ قَوْلِيْ هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرُ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبُ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ.

*** * *** *

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِطَاعَتِهِ تَطْيِيبُ الْحَيَاةُ، وَبِالْتَّرَاجِمِ هَذِيْهِ تَحْصُلُ النَّجَاةُ، وَأَشْهُدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهُدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، دَعَانَا إِلَى تَمْمِيَةِ الْعَلَاقَاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، وَتَقوِيَّةِ أَوَاصِيرِ الْمَوْدَةِ، وَعَلَى اللَّهِ وَصَاحِبِهِ أَجْمَعِينَ، وَالْتَّابِعِينَ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ الْأُمَّةَ إِنَّمَا تَظَاهِرُ مُتَمَاسِكَةً قَوِيَّةً بِقَدْرِ مَا يَقُومُ أَفْرَادُهَا بِحَقِّ الْعَلَاقَاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَأَدَاءِ الْحُقُوقِ إِلَى أَصْحَابِهَا، "فَخَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ"، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَّهُ النَّاسُ، وَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلَّمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَبِدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ السُّوءَ، فَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَوَاصُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَالصَّبَرِ، وَأَنْ يَكُونَ الْمُؤْمِنُ لِبِنَةً صَالِحةً فِي بَنَاءِ الْمُجَمْعِ، فَلِيَقُمْ بِمَا أَمْرَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِهِ مِنْ حُقُوقِ اللَّهِ وَحُقُوقِ الْعِبَادِ، وَلِيُشَارِكَ أَفْرَادُ مُجَمْعِهِ فِي الْمُنَاسَبَاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ،

ولِيَتَضَامِنْ مَعَهُمْ عِنْدَ الشَّدَائِدِ؛ فَإِنَّ الْانْزَالَ عَنِ ذلِكَ مِنْ أَكْبَرِ مُسَبِّبَاتِ انْقِطَاعِ الْعَالَقَاتِ الَّتِي تَشْدُدُ أَوَاصِرَ أَفْرَادِ الْمُجَتمَعِ الْمُسْلِمِ بَعْضِهِمْ بِعَضًّا، وَهُوَ مَا عَبَرَ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ بِقَوْلِهِ: ((الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضَهُ بَعْضًا))، وَهَلْ أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ بِهَذَا التَّشْبِيهِ إِلَّا أَنْ يُكُونَ الْمُؤْمِنُونَ أَمَامَ الشَّدَائِدِ كَالسَّدَّ المَنْبِعِ، وَأَمَامَ قَوَارِعِ الزَّمَانِ كَالصَّخْرَةِ الَّتِي لَا تَلِينُ؟ وَطَرِيقُ هَذَا سَهْلٌ مُيسَرٌ لَا مَشَقَّةَ فِيهِ، وَذَلِكَ بِأَنَّ يَحْفَظُوا الْحُقُوقَ الاجْتِمَاعِيَّةَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَمَا الَّذِي يَحُولُ بَيْنَ الْمُسْلِمِ وَأَدَاءِ تِلْكَ الْحُقُوقِ؟ وَقَدْ فَصَّلَهَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ وَأَوْصَى بِهَا عِبَادَهُ، وَجَاءَتْ سُنَّةُ الْمُصْطَفَى ﷺ مُؤَكِّدةً عَلَيْهَا.

فَاتَّقُوا اللَّهَ - يَا عِبَادَ اللَّهِ -، وَقُومُوا بِالْحُقُوقِ الَّتِي عَلَيْكُمْ، لِتَجِدُوا ثَوَابَهَا العَاجِلُ وَالْآجِلُ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(١).

هَذَا وَصَلُّوْا وَسَلَّمُوا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ، وَقَائِدِ الْغُرُّ الْمُحَاجِلِينَ، فَقَدْ أَمْرَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلاً عَلَيْمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَكِيَّتَهُ يُصْلِلُونَ عَلَى النَّبِيِّ يَكَاهُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلَلُوا عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تَسْلِيْمًا﴾^(٢).

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمَيْنِ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضِ اللَّهُمَّ عَنْ خَلْفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

(١) سورة الزمر / ٨-٧ .

(٢) سورة الأحزاب / ٥٦ .

اللَّهُمَّ اجْعِلْ جَمِيعًا هَذَا جَمِيعًا مَرْحُومًا، وَاجْعِلْ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلَا
تَدْعُ فِينَا وَلَا مَعَنَا شَقِيقًا وَلَا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ إِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَوَحْدَ اللَّهُمَّ صُفُوقَهُمْ، وَاجْمَعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْحَقِّ،
وَأَكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاکْتُبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيْدِهِ بِالْحَقِّ وَأَيْدِيهِ بِالْحَقِّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ،
اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعْمَتَكَ، وَأَيْدِهِ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوْفِيقِكَ، وَاحْفَظْهُ بِعَيْنِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُومُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَسْتَجِيرُ،
وَبِرَحْمَتِكَ نَسْتَغْفِرُ أَلَا تَكِلْنَا إِلَى أَنفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ، وَأَصْلِحْ
لَنَا شَانَنَا كُلَّهُ يَا مُصْلِحَ شَانِ الصَّالِحِينَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي
ثِمَارِنَا وَزَرْوُعَنَا وَكُلْ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ
سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبٌ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللَّهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَاتِ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.